سيكولوجيا الجسد الأنثوي رواية (الأسود يليق بك) أنموذجا

أ.م.د. غصون عزيز ناصر
dr.ghosn2021@gmail.com
المديرية العامة لتربية محافظة البصرة/معهد الفنون الجميلة

الملخص

مما لاشك فيه، ان سيادة الطغيان للخطاب الذكوري عبر التاريخ والنظرة الدونية للمرأة جعلتها موضوعاً وليس ذاتاً، طرفاً مضاداً ونقيضاً آخر. عانت فيه اغتراباً كبيراً داخل ذاتها وداخل مجتمعها، فضلاً عن انشطارها بين رغبتها بتحقيق ذاتها وبين الاستسلام للسلطة الذكورية.

الكلمات المفتاحية :سيكولوجيا، الجسد، الأنثوي.

The psychology of the female body in the novel

(Black Suits You) as a model

Assist Prof Ghoson Aziz Naser
Directorate of Education in Basra Instute of Fine Arts

Abstract

Undoubtedly, the dominance of male discourse throughout history and the condescending view of women have made them a subject rather than an entity، a counterpart and another opposite . This has led to a significant alienation within themselves and within their society، in addition to the conflict between their desire to achieve self-realization and their submission to male authority.

Key words : Psychology, Female, Body.

المقدمة:

من المعروف إن الإنسان مجموعة من التناقضات المتعددة والمتنوعة، التي تنطوي على قدرٍ كبيرٍ أو صغير من التوتر ، إذ كثيراً ما يكون منشأ هذا التوتر الذاتي ، الامور الحياتية والمحيط الذي نعيش فيه .

فالإنسان لا يعيش في عالم مادي بقدر ما يعيش في عالم من القيم،كالأشياء التي تحيط به، والمواقف التي تضمه، والاشخاص الذين يتعامل معهم،وكل هذا يكون محملاً بقيم موجبة جاذبة أو سالبة منفردة .

ومن المواقف التي تحتل المرتبة الأولى من حيث شحنتها التوترية ، هو موقف الرجل والمرأة كل من الآخر في أخطر مراحل الحياة .

تتجه فرضية البحث إلى الكشف عن مفهوم (الجسد الأنثوي) وتحولاته النسقية في رواية (الأسود يليقُ بك),كما يهدف البحث إلى محاولة تفكيك أبنية المعنى وتعرية مؤسساتها الثقافية، التي تهمش دور المرأة ، بوصفها آخر بالنسبة للرجل .

تقوم خطة البحث على ثلاثة مباحث : يدرس المبحث الأول (الجسد الأنثوي الصامت) ، بينما يتجه المبحث الثاني إلى دراسة (الجسد الأنثوي المهمش)، في حين يختص المبحث الثالث بدراسة (الجسد الأنثوي المتحرر) .

التمهيد :سيكولوجيا الجسد الأنثوي .: يمثل الجسد معطى أنثروبولوجي ونفسي وسوسيولوجي . كما أنه ((معطى جوهري يتم البحث عن خصوصياته الموجودة على مستوى من العمق يجعلها مشتركة بين كافة البشر)) .(١)

وثمة تصورات عديدة عن الجسد الأنثوي في الخطاب الذكوري عبر التاريخ، والنظر الاقصائية التي عملت لزمن طويل على أبعاد المرأة وجعلها كل ما لا يميز الرجل . أضف إلى ذلك، النظر إلى الجسد الأنثوي بوصفهِ جسداً مدنساً بعيداً عن عالم الطهر والسمو والقداسة . وعليه أضحت المرأة تعيش اغتراباً كبيراً داخل ذاتها وداخل مجتمعها . إذ يمثل ذلك الاغتراب،الهوة الفاصلة بين الجسد والروح على المستوى السيكولوجي . ومن أجل تخطي هذه الهوة والحبسة الطويلة التي رافقت المرأة لزمن طويل واعادة تعريف نفسها, وتأكيد هويتها الذاتية ، نرى الجسد الأنثوي يثأر لنفسه ويتمرد على الثقافة الذكورية، ويتحول من الثبات الى التحرك, وهي القناعة التي نجدها عند الكاتبة (أحلام مستغانمي) في روايتها (الأسود يليقُ بك) إذ تصور لنا الكاتبة الجسد الأنثوي وهو يتحول من هوية إلى أخرى ، إذ يتخذ ابعاداً مختلفة ليعود في نهاية المطاف للاحتفاظ بمركزيته بعد أن ثلمتهُ السلطة الذكورية التي تعاملت معه، بوصفه جسداً فقط لا روح . وكان هذا واضحاً في اختيار الكاتبة لزهرة (التوليب) لتزيين غلاف رواية (الأسود يليقُ بك)، إذ ترمز هذه الزهرة إلى صلابة المرأة وكبريائها، لتأكد من خلال ذلك هويتها الذاتية التي سُلبت منذ زمنٍ طويل . فكم القهر الذي يقع على عاتقها من لدن السلطة الذكورية جعلها تطلب التحول وأن كان بطريقة التمرد . كما إن ((محاولات التمرد، سلبيـة كانت أم إيجابية،عظمية الأهمية في عملية النمو وإثبات الذات)).(٢) وهذا ما سيتضح أمامنا في ثنايا البحث.

المبحث الأول :الجسد الأنثوي الصامت :

ممالا شك فيه إن الثقافة الذكورية اتكأت على موروثات ثقافية تعلي من قيم الذكر مقابل دونية الأنثى، إذ أصبح هذا الأمر جزءاً عضوياً من النسيج الثقافي والاجتماعي وقد ترتب على هذا الأمر تراجع دور المرأة وانضوائها تحت الثقافة الذكورية ، نهاية بالدور السلبي المتمثل في استسلام غالبية النساء للسلطة الذكورية، وظهورها بوصفها الجسد الصامت المستسلم لرغبات الرجل، وهنا تضعف هوية المرأة ويحتل مفهوم (الخضوع) موقعاً مركزياً في حياتها ، ويقصد بهذا المفهوم صعود الخطاب الذكوري مقابل تراجع الخطاب الأنثوي لتظهر لنا ثيمة الأنا / الآخر وما يدور بينهما من صراع، وهي ((قيمة ذات جذور قديمة في الرواية العربية وذات حضور متعدد الدلالات، وهي تعكس رغبة الروائي وقدرة الروايـة جنساً ادبيا – على التعبير عن واقع الأنا مقابل الآخر، باختلاف دلالة هذه الأنا وذلك الآخر))(٣).

وهذا ما اتضح لنا في رواية (الأسود يليقُ بك)،إذ نجد الجسد الأنثوي الصامت الذي يقبل بكل قواعد اللعبة الذكورية المتمثلة بالبطل (طلال هاشم)،ذلك المليونير اللبناني الذي ناهز عمره الخمسين عاماً ، إذ اعجبته مطربة جزائرية في السابعة والعشرين من عمرها (هالة الوافي) التي شاهدها مصادفة في برنامج تلفزيوني فقرر أن تكون له. إذ يبدأ البطل الذي جاهد ليثري محصوله الثقافي في الموسيقى والشعر إلى وضع خطة تلو الأخرى للإيقاع بتلك الحسناء التي ترتدي الأسود ، حداداً على

مقتل أبيها وأخيها خلال الاضطرابات التي شهدتها الجزائر, كما في صورة هذا النص : ((لن يحتسيها دفعة واحدة. سيجعل الطريق اليها طويلاً لقد انتظر شهرا ليراها مجدداً في برنامج تلفزيوني شهراً ليُلقي اليها بالطعم ، الذي لا يمكن لسمكة صغيرة مثلها الا أن تزدرد)).(٤)

إذ نرى البطلة (هالة) تبدء بالاستسلام منذ تسلمها أول باقة من الحبيب المجهول، الذي لم تراه، بل رأت باقتهُ قبل شكله كما في قول الراوي الخارجي :((فتحت بلهفةِ الفضول الظرف الصغير المرفق بها،لم يكن على البطاقة سوى ثلاث كلمات (الأسود يليقُ بكِ) جمدت وكأنها مذهولة . كان في الجو شيء شبيه بإعلان حب، كإشعار باقتراب زوبعة عشقية . شي لا اسم له كصاحب البطاقة ...)).(٥)إذ تسرد هذه الرواية (قصة الحب) بين البطلة (هالة الوافي) المغنية الجزائرية التي تتصف بالعناد والتحدي والكبرياء، وبين البطل (طلال هاشم)، الرجل الثري الذي يمتلك سلسلة من المطاعم في مختلف انحاء العالم . إذ اعجبته جرأتها وشجاعتها وحضورها المتميز في ذلك اللقاء التلفزيوني، فقرر أن تكون له، فهو لم يتعود أبداً على الخسارة، بل خلق لكي يربح ويصل على أي شيء يريده ، مستعملاً كل اساليب الجذب والحب.

وبعد انقضاء ثلاثة اسابيع من الارسال الأول، أرسل اليها بطاقة أخرى، كتب عليها أرقام هاتفه و وضعها فيظرف مرفقاً بالباقة نفسها، كما في قول الراوي : ((هذه المرة رفع سقف فضولها العاطفي بثمانية أرقام ليست مرفقة باسم ، كان لا يتوقف. عنى استراق النظر الى ساعته ابتداءً

من الساعة العاشرة ، يمكن للهاتف ان يرن ، وتكون هي على الخط ، ففي كل امرأة تنام قطة يقتلها الفضول)) .(٦) وهنا يتلاعب البطل بالبطلة التي بدأ بإشعال فتيلها, بوصفها جسداً مستسلماً للسلطة الذكورية. تلك السلطة التي لم تكن تتميز ببلوغ غاياتها،بل في طريقة سلكها. إذ كتب على البطاقة الأولى التي ارسلها (الأسود يليقُ بك) وعلى البطاقة الثانية (أملك كل الوقت) في حين تضمنت البطاقة الثالثة جملة (احتفي بورود الانتظار) .(٧)كما كان واثقاً من الايقاع بها أو ماكراً بتعبير أخركما في قول الراوي : ((هو طاعن في المكر العاطفي ، ويعرف كيف يسقط أنثى كتفاحة نيوتن في حجره))(٨)وهنا يظهر الجسد الأنثوي المستسلم لكل الحيل الجندرية ، فإذا احبت المرأة بصدق انجرفت وراء مشاعرها ، غارقة في بحر الحب، بل نراها تفتقر إلى الصبر مذ عادت من القاهرة وهي على لهفة لتراه، ولم يسمح لها برؤيته بعد فشلها في التعرف إليه في المطار، كما في صورة هذا النص : ((حدسه كان يقينه،هي لن تتعرف إليه ، ما كان لها اصلاً من عينين إلا لغيره من الرجال ، قرر أن ينسحب أمام أول خطأ فهو لا يتقبل الهزيمة ولا يرضى أن ينذل ولو أمام نفسه)) . (٩)

وهنا يظهر التلاعب الذكوري بذلك الجسد الأنثوي الصامت ، الذي يستسلم المرة تلو الأخرى ، ليحافظ على مسافة الأمل، على لهفة اللقاء ، فهي في حالة دوار عشقي يصعب الخروج منه, أضف الى ذلك فإنها استسلمت لعادة سماعه يومياً وهو يهاتفها: ((مكالمة بعد أخرى كان يراها تزداد تعلقاً بما ترك لها من إضاءات . وسط اسرار عتمته ، وها هي ذي تترقب صوته، تلومه على انقطاعه تحتفي بعودته ،تلاحق هواتفه مداً وجزراً)).(١٠) لم يقف الأمر على هذا الحال، بل تتعدى الهيمنة الذكورية لتدل علي كبرياء ذكوري وتسلط خطابي متمثل بمحاولة البطل (طلال) بشراء بطاقات قاعة كاملة لتغني له وحده، كما في قول الراوي : ((لم يكن يفصلها عن الحفل سوى ساعات ، حيث بلغها أن احدهم اشترى قبل أيام كل البطاقات.

في البدء لم تصدق. صحيح انه حفل خيري لكن كان في إمكانه ان يكتفي بشراء كمية من التذاكر والتبرع ببقية المبلغ ...)(١١).

ومن خلال ذلك ، تظهر لنا الأنثى كـ(صدى)لصوت الذكر ، ومحيطاً يؤثث هيمنته السائدة وبؤرته الطاغية ، التي اضحت من خلال وجوده الذي يساوي الحضور جميعاً ويجعلها تغني له فقط لا لغيره ، وكل ذلك لتكريس هامشية المرأة جنسياً وعاطفياً وذهنياً من حيث قيمة الحضور .

والحق أن هذا التمركز الاسلوبي هو رديف التجلي الذكوري وتبلور الفحولة المتأصلة في التراث العقلي العربي، الذي نادى بتهميش المرأة لعهود طويلة،واقتصار دورها على إمتاع الرجل، واشباع رغباته الجنسية وسبل تحقيقها ، وكل ذلك لجعل الرجل مدار الجنسانية والمرأة أداة تحقق بها ووسيلة تتم من خلالها .(١٢)

وهذا ما نراه في رواية (الأسود يليقُ بك)،إذ نرى البطلة (هالة) تسارع أو تصارع الصبر للاتصال بـ(طلال), كما في قول الراوي : ((اتصلت به بعد أن هزمها الشوق :
((سآتي إلى بيروت الأسبوع المقبل بدعوة من شركة الانتاج لأطلاق البومي الجديد)).(١٣)
في حين يختصر (طلال) شوقه لـ(هالة) بأربعة أحرف تتمثل بكلمة (ربما) : ((هاتفيني من بيروت ... ربما استطعت أن أرتب لنا موعداً)).(١٤)كما نراها ، ايضاً تستسلم كل الاستسلام لقراراته، التي تقلل من هويتها كأنثى تحتاج إلى الحب والاهتمام فقد كانت شاهرة سيف الهزيمة ، ومستسلمة لعرضه المستهين، كي لا تجن أو تموت قهراً ، كما في صورة هذا النص : ((انتهى بها الأمر إلى الاستسلام لعرضه ، انها تعيش لأشهر بعيدة عنه مقابل " دقائق " تعيشها بمحاذاته)) . (١٥)

تأسيساً على ذلك ، تظهر لنا هوية الجسد الأنثوي الصامت، الذي يهيئ الذهن لاستيعاب هويات ذكورية مارست تأثيرها القوي عليه، وما يستتبعه من نوازع الهيمنة والاستعباد التي لا مكان للحوارية في فضائها

المبحث الثاني :الجسد الأنثوي المهمش :إن مأساة الخضوع التي عاشها الجسد الأنثوي عملت على تحويله من جسد صامت يتماهى مع هوية الآخر (الرجل) المتحكم والاحتماء بتمركزه الثقافي إلى جسد مهمش يتميز بمعاني التيه والفقدان والاغتراب, ليصبح منطق(الغلبة) هو الذي يحكم علاقة الرجل بالمرأة .

وهذا ما كشفته الحركة الثانية من رواية (الأسود يليقُ بك)، إذ قسمت الكاتبة الرواية إلى أربع حركات لا فصول في (٣٣١) صفحة ، والكشف عن منظومة الصراع بين الرجل والأنثى ، من خلال المتن السردي الذي يسير في اتجاه بطيء مليء بالعبارات التي لا تحاكي أفعال الشخصيات ، موظفة في ذلك صيغة (الحكي، والعرض، والاقوال).

(هالة) تلك الفتاة الجزائرية البسيطة، التي تمارس مهنة التدريس لمادة (اللغة العربية) تتحول من جسد صامت مستسلم للهيمنة الذكورية إلى جسد مهمش يعيش على هامشية الحب والأمل، كما في صورة هذا النص : ((صباح اليوم الثالث لوجدوها في بيروت، هاتفها ، أخفت عنه ترقبها لصوته لكنها ما استطاعت أن تخفى فرحتها – كنت أخشى أن أغادر بيروت دون سماعك. ما كان يمكن ألا أهاتفك.. انشغلت هذه الايام ليس أكثر)) .(١٦)

ومن هنا يصل لها إشعاراً بأن ثمة ما هو أهم منها في حياته، كما إن حبها لم يجعلها ضمن سلم الاولويات، التي يحرص عليها كعمله . ولم يكتفي(طلال) بهذا الإقصاء لـ(هالة) ، بل يتعدى الأمر إلى الاكثر من ذلك،فعندما تتحدث معه عن برنامجها التلفزيون في بيروت ذلك البرنامج الذي انتظرته، لكي تحل ضيفة عليه ، لعله يعرف بوجودها ، ويسعى لرؤيتها نراه يقول : ((هل كان البرنامج الذي استضافك ناجحا ؟)). (١٧)

وهذا اشعار آخر لها بأنه لم يتابع البرنامج, وهو الذي اعتاد أن يرسل إليها الورود نفسها في كالظهور تلفزيوني . وهنا يتغيب الجسد الأنثوي ويتغيب الوعي به، إذ أن ((الجسد بالنسبة للوعي بالذات كالوثيقة المؤرشفة بالنسبة للوعي بالتاريخ لأنه يمثل بؤرة الإدراك بأشياء العالم وبشيئية الوجود)) .(١٨)

و تستمر عمليات التهميش و الإقصاء والنظرة الاستعلائية للصوت الثقافي الذكوري ليمضي في إحصِائه إلى تمحور عاطفة الحب حول قطب المرأة لا الرجل، ليضعها في مرتبة أدنى، وتحول علاقة الوصل التي تفترض الجدل، إلى فعل أفقي ذي اتجاه واحد موسوم بالعنف, وهو ما يمكن أن يستشف من قول الراوي الخارجي: ((كم من الأحلام كانت ستتهشم داخلها، لو هي انتبهت أنه كان يتبرأ منها, وهو يقصدها ، خوفاً من أن يقع أحد على رقمها مسجلاً على هاتفه ! أعاد إلى جيبه الهاتف ممحواً منه رقمها)) . (١٩)

وهنا يظهر (طلال) بدور السارق ، سارق الحلم الأنثوي ، سارق لم يمسك يوماً بالجرم المشهود، شيء شبيه باللعبة يمارسها مع انثاه الحقيقية الحياة. وعليه يتضح مغزاه الذكوري، بأن لا علاقة نسائية تستحق أن يخسر من اجلها مكاسبه الاجتماعية . اذ جعل جسدها مهمشاً مستعبداً لرغباته أو لمغامراته الالتوائية ، دليل ذلك قول الراوي :((كان يراقب انكسارات روحها . تذكر أنه في الميثولوجيا لم تكن الزهور سوى صبايا قتلتهن العاطفة . هذه المرأة من سلالة الزئبق. تحتاج إلى أن يسندها بقبلة. ترك شفتيه تلتهمان ما تمناه طويلاً . كان محمولاً بأحاسيس وحشية بعد أشهر من الاشتهاء راح في قبلة واحدة يشعل حطب الانتظار كله)).(٢٠) فمن خـــلال هذه القبلة يتركها في غيبوبة النشوة بالنسبة لها، وفي غيبوبــة الجسد

بالنسبة له دليل ذلك قول الراوي : ((كان الدلفين المسالم وسط حيتان المال . شراسته وأذاه يحتفظ بهما للمرأة الي يعنيه امرها . لفرط إصراره على الاستحواذ عليها . سيدميها يوماً, ويتركها تنزف من ظلم فقدانه وسط الأمواج العاتية للحياة)) .(٢١)

وقوله ايضاً :-

((رغم اشتهائه لها وثقته بكونها لا تشبه غيرها، سيبقيها على جوعها إليه حتى تستوي يخفف النار حيناً ويضرمها حيناً، ويصبر حتى تحين وليمتها)) .(٢٢)ومن هنا تتضح سلبية الموقف العاطفي وإيجابيته حيث (هالـة) بدورها الايجابي المتمثل بـ(الوفاء للحب) و طلال بدوره السلبي والمنفعل المتمثل بـ(الغدر والخيانة) وهنا يظهر المستغَل والمستغِل، وصورة المرأة، بوصفها ضحية يعدها (الرجل) كائناً يمكن استخدامه لأغراض جنسية فقط .

وتستمر سلسلة التهميش لجسد البطلة (هالة) مرة بعد أخرى ، فحين يدعوها(طلال) للعشاء و تتجهز بكامل أناقتها ، بل نراها تحاول أن تأخذ من المبلغ الذي احتفظت به لشراء هدايا لأهلها في سوريا، إذ كان هذا الأمر يؤلمها لكنه لا مفر منه فلا بد أن تذهب وتشتري ثوباً جديداً لتليق

بذلك الرجل الأرستقراطي (طلال) . وإذا به يتصل بها بعد انتظار دام لمدة نصف ساعة ليفاجئها بأنه لا يقدر على المجيء ، كونه يستقبل ضيوفاً على العشاء،دليل ذلك هذا النص: ((انقضت نصف ساعة على وجودها في مهب الانظار والانتظار حين مر أحد الموظفين بلوحة مكتوب عليها اسمها كانت مطلوبة على الهاتف .على الطرف الآخر قال صوته بنبرة اخفض من العادة :عذراً نسيت أننا نستقبل ضيوفاً على العشاء في البيت،تعشي حين تعشينا البارحة أو اطلبي عشاءً في الغرفة. سأتصل بك غداً. تصبحين على خير)).(٢٣)

وهنا تنكسر (هالة) و يهمش دورها، بل يرغمها (طلال) على قطع مراحل في العبودية من خلال عبثه بمشاعرها و احاسيسها. (هالة) العاشقة المهجورة في ضيافة الحب ، الذي يسقيها الصبر ويواسيها بوضع وردة على مائدة الغياب ، وينسى في الوقت ذاته المناديل الورقيــة للبكاء:((إنه حب ساذج، لا يضع البكاء في حسبانه)) . (٢٤)

وعلى الرغم من ذلك الإقصاء وأشكال الألم وتلوينه، وما يولده من (عذاب) و(قهر) وبين هذا وذاك بما هو خطاب مركزي يتأسس على موضوعات بذاتها كـ(التهميش ، والإعاقة، والعبودية) وغيرها من الموضوعات التي يتقاطع في بنيتها الحكي الذاتي بالعالم الهامشي، والألم المتجسد في انكسار الأحلام الفردية ، وضيق هامش الحرية، تفرز (هالة) كل انواع الصبر لموجبات الوجع الحاد والعنيف, لتقابل(طلال) بـ(ابتسامة) الانتظار المتكررة ، وهذا يعني ((أن المرأة لا يمكن أن تكون متسلطة كالرجل ولكن الابتسام الزائد يجعلها تبدو أقل تسلطاً)) . (٢٥)

بمعنى آخر، إن مفهوم (التبسم) فعل هامشي أقرب إلى الاستسلام .ومن هنا يقوم الجسد الأنثوي بوظيفة الكشف عن النسق الثقافي الذكوري ونزعته السلطوية، التي تضع الآخر خارج دائرة الضوء وبؤرة الاهتمام. فضلاً عن فرط الانخراط والرضوخ تحت ثقافتها, التي تجعل المرأة تابعة لا متبوعة ، تصر على لقاءاته وهي ترتدي الأسود لأنه يليقُ بها, كما كان يردد في كل لقاءٍ لهما .

المبحث الثالث : الجسد الأنثوي المتحرر : نعني بالجسد المتحرر ، هو ذلك الجسد الذي يعبر عن المواجهة والتحدي والتصدي لكل آليات التغييب والتهميش والإقصاء ، انه جسد سعى إلى التحرر من قيود الهيمنة الذكورية، التي تختزل المرأة بحدود الجسد إلى نوع من الاستقلال والسيادة للوعي بذاتها وبناء جسدها وهويتها . فضلاً عن فحص ما يتصل بالخطاب الأدبي من احداث ووقائع ومواقع صحت يمكن تأويلها لاستنطاق المسكوت عنه والمخبوء في تعارضه مع الثقافي المؤسساتي أو مع المتن الروائي . اي أنه ((يفحص مديات واسعة من الخطابات)) (٢٦).

لذلك كان التحرر استجابة واعية لهذه الخطابات التي تغيب كل ما عداها .

وهذا ما تكشف عنه الحركة الرابعة من رواية (الاسود يليقُ بكِ)إذ تخرج الكاتبة (احلام مستغانمي) المرأة من دائرة الصمت والتهميش التي حصرت فيها إلى دائرة الانفتاح والقول والفعل،بوصفها لا معطى بيولوجياً بقدر ما هي بناءً اجتماعياً ممتلئاً ومؤثراً في الشأن العام ، وكل ذلك بدافع إعـادة صياغة ذلك العالم الذي يهمش المرأة، وإعـادة دمجها في الوسط الاجتماعي وصياغة هويتها وحقوقها التي هضمت .

ومن هنا تخرج (هالة) من صمتها إلى الثورة ضد الجنس الآخر (طلال) و ضد كلمة (الانتظار)، التي تعودت عليها في محطة الحافلة، وفي بهو المدرسة ، وفي مدخل البيت ، مرددة في ذلك، لا لانتظار الجنس ، بل لانتظار القتلــة الذين قتلوا (والدها واخيها) بحجة الدين واعلاء كلمة الحق .

كما في صورة هذا النص : ((قالت :- أما أنا فلا أتقن الانتظار، ولا أنوي الارتباط ببحار.. لذا سأغادر الفندق هذا الصباح!)) .(٢٧)

وفي مشهدٍ آخر تتخذ (هالة) مساراً آخر للتحرر الجسدي،وهو ترك اللون الاسود بعد أن كان رمزاً لهذا الحب (المقدس)، لتعلن من خلال خلعه ، رفضها له من جهة وعرقلة السلطة الذكورية وتحقيق ذاتها من جهة أخرى .فالعلاقة التي بينها يحكمها التحدي ، هو بماله وسلطته، إذ يعلم أن لا أحد سياتي بمثله، وهي برهافة إحساسها ورقة قلبها و كبريائها وكرامتها، إذ هي مكابرة ، كما في صورة هذا النص :-((بدءاً، تحمست للمشاركة في هذا الحفل العالمي كي تضمن أن يراها وقد خلعت سوادها ، فيدرك أنه من خلعت، كان يعنيها أن تقهره، كانت في لونها الجديد شهية كمؤامرة عشقية . تركت له الاسود فليرتد هو الحداد عليها)).(٢٨)

وهنا تنقلب الأدوار، وإذا بها هي من تشتعل فرحاً ، بينما شيئاً منه ينطفئ ، وهو يتفرج عليها وهي تغني بحرية للعراق الموجوع بثوبها اللازوردي،الذي يشير إلى العصيان و التمرد والتحرر والثأر لكرامتها, بوصفها امرأة حرة، دليل ذلك قول الراوي :((ارادت أن تثأر لكرامتها لحظة تقع عيناه عليها وهيفي ثوبها اللازوردي اليوم هي تغني للناس جميعا ما عداه، صوتها الذي يأخذ بالثأر)). (٢٩)

هكذا تثأر (هالة) من (طلال) بثوبها وصوتها ، اذ أجبرها ذات يوم أن لا تغني إلا لسواه. وها هي الآن تتحرر منه بمجرد أن اطلت على المسرح اختفى طيفه من حياتها. ومن هنا نرى يقظة الإحساس ، التي تعود إلى تحول روحي وسيكولوجي يحدث في عمق الفراغ الداخلي، الفراغ الممتلئ بالطاقة والحياة ، حيث يولد الاحساس الجديد ، الذي يعّي وجوده ، ((فإذا لم يكن هناك هذا الفهم الكلي والكامل لوجودنا كله،إذاً فالفعل كلــه ، والفكر كله، والرأي كلـه سوف يقودنا فقط إلى فوضى ومعاناة أكثر)).(٣٠) كما تكون الحياة سطحية جداً، وخاوية وتصبح مجرد اشخاص (روبوتات).

وتستمر الثورة التحررية للبطلة (هالة) من القيود الذكورية ، فبعد كسر مفهوم (الانتظار) وخلع اللون الاسود تنجو من سطوة الفخامة (وخدعة الاحجام)،التي عودها عليها (طلال) ، دليل ذلك قول الراوي العليم : ((نجت من سطوة الفخامة المهيبة وما ايقظت فيها من أسى لا تعرف له سبباً)).(٣١)

ومن هنا تظهر لنا انثى التحديات الشاهقة، التي تحاول التحرر والتمرد على السلطة الذكورية بأمور ثانوية أخرى منها :-

أولاً : قول لفظـة (لا استطيـع) تلك اللفظة التي لم تجرؤ على نطقهـا يوماً ما : ((تمتمت وهو يحاول أن يخلع عن الوردة اوراقها :

-لا استطيع ..

لكأنها قالت " لا تستطيع "

كان يكفي كلمة واحدة لتسكب الماء على نيرانه)).(٣٢)

ثانياً: حاولت شراء لعبة (الشطرنج) و اهدائها له ، بوصفها لعبة الملوك والاذكياء ، وهي أغلى هدية اشترتها في حياتها لرجل لا تلمس يداه الا الاشياء الثمينة لتثبت له أنها لم تكن الأكثر ثراءً، بل هي الاكثر سخاءً, ليتساوى بذلك،فهو رجل لم يعطيها شيئاً،لكنه نسى انه علمها درسـه الأهم وهو : (الاخلاص للحياة فقط) بجملة الراوي .(٣٣)فالحب في هذه الرواية جاء بطريقة مشوهة،فهو الذي تخبأ عن الأهل والاقارب ، كون (طلال) متزوجاً واباً لفتاة . فهو الحب الذي بدء بهاتف، وانتهى بفندق ، حب يرتكز على خيانات وخيبات ولا يطرق الابواب .

ثالثاً: حاولت استئجار شقة غير التي أجرها لها حبيبها (طلال) في باريس، إذ كانت مقيمة في شقة بائسة التقيا فيها، و إذا به يختار لها عنواناً يليق بمقامه، الذي لا يسمح له بحب فتاة تقيم في ذلك العنوان . دليل ذلك هذا الحوار السردي :((لن أقيم في غير فندقي.. إنه أقرب إلى المستشفى .

أجاب بما يعرف أنه سيهزمها .

لكنك هنا أقرب إليّ)).(٣٤)

وعليه تخرج (هالة) من شرنقة السكوت العشقي والاستسلام البدني لتمشي بقامة مستقيمة وواثقة، : ((فهي ما زالت تواظب على تأثيث تلك الشقة ، مقتطعة مبلغاً شهرياً لدفع بدل إيجارها، على حساب كثير من حاجاتها, لمجرد إدهاشه ، يوم يزورها)) . (٣٥)

رابعا: تحاول تجاهل وجوده ، الذي كان يخفق قلبها له ، فإن كانت في الجولة الأولى لم تتعرف عليه وهما معاً في الطائرة نفسها، فهو في الجولة الاخيرة لم يتعرف عليها وهي تتظاهر بتصفح إحدى المجلات كما لو أنها لا تدري بوجوده متمتماً بنبرة واثقة : ((تلك الحمقاء التي أحبتك ما عادت أنا !)) .(٣٦)

وعليه يختمها (طلال) بقول: ((سأظل أتعرف إليك مادام الاسود لونكِ ..أعني لوننا)).( )وإذا بها تجيب بتمردٍ لتنقلب لوعة امتلاك الجسد إلى وازع لتحريره، وتعميق الفجوة الذهنية والعاطفية بينهما ، على النحو الآتي :((لا أظننا سنلتقي بعد اليوم, إلا إذا استطعت أن تشتري لكَ مصادفة أخرى في مطار !)).(٣٧)

وعلى أثر ذلك، تتحرر (هالـة) من أيامها التي قضتها وهي ترى من دون أن تنظر ، وتسمع من دون أن تصغي ، إذ أن العديد من التفسيرات السيكولوجيـة ترى إنّ

((الخضوع قد يجعل المرأة تشعر بأنها مرغوبة جنسياً)).(٣٨)

هكذا تتكشف التحولات النسقية, من حيث صعود هوية المرأة، بوصفها هوية أنثوية قارة بقيمتها الأساس. وتتكشف بالوقت ذاته قدرة الكاتبة (أحلام) على المزاوجة بين العمق التمثيلي في استبطان العوالم الخفية للشخصيات الروائية وبلاغة التصوير في التقاط تفاصيل(الألم) الحسي المشظى في هذه الرواية، لتتخذ بعد التعبير الروائي المتوتر، مع ما يتصل به من تغلغل للوعي في تفاصيل المسكون (الألمى) من حيث هو (آخر مجرد) وتحويله من معطى موضوعي عادي إلى قيمة ذهنية مفعمة بالقيم الجمالية المضافة . فضلاً عن تمثيل الفجوة اللاشعورية بين الوعي والجسد المحسوس ، حيث ينمو الوعي إلى تشخيص الأمل ، ويتطلع البدن إلى كتم وإضمار وتلاشي الخواء الجسدي .

الخاتمة : لا يسعنا في خاتمة البحث إلا الوقوف عند أهم و أبرز ما خرجنا به من دراسة (سيكولوجيا الجسد الأنثوي،رواية الأسوُد يليقُ بك) نموذجا التي يمكن اجمالها بالشكل الآتي :

١- تبلور مفهوم الجسد الأنثوي الصامت والمستسلم للثقافة الذكورية .

٢- تحول الجسد الأنثوي من جسد صامت إلى جسد مهمش، يعاني من التمزق والانقسام، سواء كان ذلك عن طريق الرضوخ الذاتي للسلطة الجندرية أو من خلال اساليب القمع المقصودة للسلطة ذاتها .

٣- مرور الجسد الأنثوي بتحولات كثيرة، فمن الاستسلام والتهميش يتحول ذلك الجسد إلى التحرر من شرنقة السكون العشقي, ومن أسر مقولاته الفكرية، كنوع من المواجهة والهيمنة. بمعنى آخر نشوء خطاب التابع (المرأة) الذي يفكك المقولات السائدة لخطاب المتبوع (الرجل).

٤- تبادل الادوار بين المركز / والهامش، الرجل / المرأة، أي صعود هوية وهبوط أخرى ، وكل ذلك لجعله يشكل نسقاً طاغياً في الحركة الرابعة من الرواية .

٥- عناية الكاتبة (أحلام مستغانمي) بموضوع المرأة . فالمرأة في روايتها (الأسود يليقُ بك) تتجاوز تلك الصورة المنكسرة، التي رسمتها الحركات الثلاث لتظهر لنا في الحركة الرابعة صورة المرأة المتحررة، التي ترفض الدور الصامت والسلبي، وكل ذلك بدافع الافصاح عن هياكل الهيمنة وأشكال القهر والقمح، وإعادة الاعتبار لهويتها المهمشة .

الهوامش

(١) فخ الجسد، منى فياض، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٣، ص١١ .

(٢) المرأة والحرية دراسات في الرواية العربية النسائية، د. جان نعوم طنوس ، دار المنهل اللبناني، بيروت, ط١, ٢٠١١ ، ص ٢٤ .

(٣) تمثلات الذات المروية على لسان الأنا ، د. منال بنت عبد العزيز، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ط١, ٢٠١٣،ص٥٢.

(٤) الأسودُ يليقُ بكِ ، احلام مستغانمي، دار نوفل بيروت– لبنان، ط١, ٢٠١٢, ص ٣١ .

(٥) الاسود يليق بكِ – احلام مستغانمي ص ٣٨ .

(٦) المصدر نفسه, ص ٤٧ .

(٧) ينظر :المصدر نفسه, ص٤٤ .

(٨) المصدر نفسه، ص٧١، وينظر كذلك : ص٧٢ .

(٩) الأسودُ يليقُ بكِ ، احلام مستغانمي,ص٥٩ .

(١٠) المصدر نفسه،ص٥٣ .

(١١) المصدر نفسه،ص١٠٤ .

(١٢) ينظر : الفتنة والأخرى،أنساق الغيرية في السرد العربي، شرف الدين ماجدولين – الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف بيروت، لبنان، ط١, ٢٠١٢، ص٥٢ . وينظر كذلك : خطاب الجنس ، مقاربات في الادب العربي القديم ، هيثم سرحان, المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان،ط١, ٢٠١٠,ص١٥٤–١٥٥.

(١٣) الاسود يليق بك، احلام مستغانمي، ص ١٢٩ .

(١٤) المصدر نفسه، ص١٣١ .

(١٥) المصدر نفسه، ص١٦٨– وينظر كذلك : ص٢٤٢، ٢٤٥ .

(١٦) الأسودُ يليقُ بكِ ، احلام مستغانمي،ص ١٣٣ .

(١٧) المصدر نفسه, ص ١٣٤.

(١٨) الذات والآخر, تأملات معاصرة في العقل والسياســة، محمد شوقي الزين, منشورات ضفاف, بيروت – لبنان، ط١, ٢٠١٢, ص٥٩ .

(١٩) الأسودُ يليقُ بك ، احلام مستغانمي, ص ١٣٣.

(٢٠) المصدر نفسه ص ١٤١.

(٢١) الأسودُ يليقُ بك – احلام مستغانمي, ص ١٤٥ .

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١٤٦ .

(٢٣) المصدر نفسه،ص ١٧٣.

(٢٤) الأسودُ يليقُ بكِ , احلام مستغانمي، ص ١٧٤ .

(٢٥) المرجع الاكيد في لغة الجسد، الان باربارا بيبيز، مكتبة جرير, الرياض، السعودية، ط١, ٢٠١٨، ص٨٦ .

(٢٥) النظرية والنقد الثقافي، الكتابة العربية في عالم متغير د. محسن جاسم الموسوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص١٩ .

(٢٦) الأسودُ يليقُ بكِ – احلام مستغانمي،ص ١٧٥ .

(٢٧) المصدر نفسه,ص٣٢٨ .

( ) الصفحة نفسها .

(٢٨) يقظة الإحساس, كريشنا مورتي، ت : نبيل سلامة، دار التكوين ، دمشق – سوريا ، ط ١، ٢٠١٨، ص٢٢.

(٢٩) الأسودُ يليقُ بك، ص ٢٦٨.

(٣٠) المصدر نفسه, ص ٢٧٨.

(٣١) ينظر :المصدر نفسه، ص ٢٨٠.

(٣٢) الأسودُ يليقُ بكِ –، ص ١٦٧.

(٣٣) المصدر نفسه, ص٢٨١ .

(٣٤) المصدر نفسه, ص ٢٩٨.

(٣٥) الصفحة نفسها .

(٣٦) الأسودُ يليقُ بك ، ص ٢٩٩.

(٣٧) النساء, الوقوف على الدوافع الجنسية من الثأر إلى المغامـرة،مؤلفون ، د. ديفيد ام باس ودسينديام . ميسيتون، ت : أحمد الناصح, المعقدين للنشر والتوزيع، العراق، البصرة، ط١, ٢٠١٨, ص ٣٨٢ .

(٣٨) الأسود يليق بك ص٢٩٩.

المصادر والمراجع

اولاً : المصادر .

١–الأسودُ يليقُ بكِ ، أحلام مستغانمي، دار نوفل – بيروت, لبنان ، ط ١، ٢٠١٢.

ثانياً : المراجع .

١– تمثلات الذات المروية على لسان الأنا، د. منال بنت عبد العزيز، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط١, ٢٠١٣ .

٢– خطاب الجنس ، مقاربات في الأدب العربي القديم، هيثم سرحان، المركز الثقافي العربي بيروت – لبنان ، ط ١, ٢٠١٠ .

٣- فخ الجسد، منى فياض دار النهضة العربية بيروت – لبنان ، ط١, ٢٠١٣.
٤- الفتنة والآخر, أنساق الغيرية في السرد العربي, شرف الدين مجدولين ، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف ، بيروت- لبنان ،،ط١, ٢٠١٢ .
٥- المرجع الأكيد في لغة الجسد،الآن وباربارا بييز، مكتبة جرير، الرياض السعودية، ط١, ٢٠١٧
٦- الذات والآخر، تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، محمد شوقي الزين، منشورات ضفاف, بيروت – لبنان، ط١, ٢٠١٢ .
٧- المرأة والحرية، دراسات في الرواية العربية النسائية، د .جان نعوم طنوس دار المنهل اللبناني، بيروت – لبنان, ط١, ٢٠١١ .
٨- النساء،الوقوف على الدوافع الجنسية من الثأر إلى المغامرة ، مؤلفون / د. ديفيد ام باس و د سيندي ام ميتون، ت: احمد الناصع، المعقدين للنشر والتوزيع العراق – البصرة ط ١، ٢٠١٨.
٩- النظرية والنقد الثقافي، الكتابة العربية في عالم متغير، د. محسن جاسم الموسوي المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت– لبنان،ط١, ٢٠٠٥ .
١٠- يقظة الإحساس، كريشنا مورني، ت: نبيل سلامة ، دار التكوين – دمشق – سوريا، ط١, ٢٠١٨ .

Sources and References:

The Black Suit Fits You" by Ahlam Mosteghanemisd, "Dar Nawfal – Beirut, Lebanon, 1st edition, 2012.

References:

Self-Representations in Narratives on the Self" by Dr. Manal Bint Abdulaziz, Dar Al Arabiyya Lil Ulum Publishers, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2013.

Gender Discourse : "Approaches in Ancient Arabic Literature" by Haitham Sarhan, Arab Cultural Center – Beirut, Lebanon, 1st edition, 2010.

The Temptation of the Body " by Mona Fayad, Dar Al Nahda Al Arabiyya – Beirut, Lebanon, 1st edition, 2013.

Temptation and the Other: The Narratives of Otherness in "Arabic Fiction" by Sharaf Al-Din Majdulin, Dar Al Arabiyya Lil Ulum Publishers, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2012.

"The Definitive Reference in Body Language " by Allan Pease and Barbara Pease, Jarir Bookstore, Riyadh, Saudi Arabia, 1st edition, 2017

The Self and the Other: Contemporary Reflections on Mind, "Politics, and Reality" by Mohamed Shawqi Al-Zein, Difaf Publications, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2012.

Women and Freedom: Studies in Arab Women's Fiction" by Dr. Jean Naoum Tanous, Dar Al Manhal Al Lubnani, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2011.

Women: Understanding Sexual Motivations from Revenge "to Adventure" by David Buss and Cindy Meston, translated by Ahmed Al-Nasih, Al Mu'akideen Publishing and Distribution, Basra, Iraq, 1st edition, 2018.

Theory and Cultural Criticism: "Arabic Writing in a Changing World" by Dr. Mohsen Jasim Al-Mousawi, Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2005.

The Awakening of Sensibility" by Krishna Murni, translated by Nabil Salama, Dar Al-Takween - Damascus, Syria, 1st edition, 2018.